بوليس اميركا السري

ألن بنكرتن

تقولا كارتر او نكارتر اسم اتصل في الروايات للبوليس الاميركي السري بعد ما تفوق على سائر بوليس الدنيا في قوة فراسته وسعة حيلته واستنباط الغرب الاساليب للاهتداء الى المجرمين والقبض عليهم. وقارئ هذه الروايات يرى من دهاء نكارتر وصحة استدلاله ما يفوق التصور ويخالف المعقول والمنقول وما لا يصح اسناده الاَّ الى من أُوتي قوة العلم بالغيب

على ان الروائي الذي نسب ما نسب من المعجزات الى نكارتر الخيالي لم يفعل ذلك اعتباطاً وانما صوره على مثال رجال حقيقيين اشتهروا بتلك الصفات واضاف اليه شيئاً من البهرجة والزخرفة وحشا رواياته عنه بشيء من الاغراق والمبالغة شأن الروايات كلها

ومن اشهر هؤلاء الرجال الحقيقيين « ألن بنكرتن » ولد سنة ١٨١٩ والف سنة ١٨٥٩ وكالة لتجسس انباء المجرمين وحركاتهم وسماها بعضهم بقوله انها اعظم اداة لاستطلاع الاخبار في الدنيا. مركزها في نيويورك ومن هذا المركز تمتد يداها الى اقاصي الدنيا. ولها عيون سرّيون يعدون بالمئات وقد كان لهم شأن عظيم في تعقب المجرمين وتتبع اثره والقبض عليهم ليلقوا جزاء ما جنت ايديهم وما اجترحوا من السيئات. وحكاية بنكرتن من اسطع الادلة على فضل الوراثة وعلى وجوب تعليم الاولاد الحرفة التي فطروا عليها وابدوا ميلاً اليها لا التي يريد اهلهم ان يعلموهم اياها

ولد ألن بنكرتن في مدينة غلاسكو باسكتلندا وكان ابوه بوليساً فيها فقتل وهو لا يزال صغيراً فتعلم السكرة حتى اذا بلغ الثانية والعشرين من سنه تزوج وفي اليوم التالي سافر الى كندا هو وزوجته وقصده التنتيش عن مكان تروج فيه صنعته ولكن الاقدار خبأت له غير ما ينوي. وبينما في الطريق انكسرت بهما السفينة عند جزيرة اسمها جزيرة « سابل » فنجوا الى البر في زورق واقاما في شيكاغو وكانت يومئذٍ قرية حقيرة لا يكاد احد يعرف اسمها ولا رسمها.

فاستخدمه عند رجل صانع براميل باجرة نصف ريال يومياً . ثم انتقل الى بلدة مجاورة اسمها دندي في ولاية الينوز وفتح دكاناً للسمكرة وصنع البراميل

وجعل يفتش عن غابة يأتي منها بالخشب الصالح لعمل البراميل فقيل لهُ ان في جزيرة من جزر النهر القريبة اسمها جزيرة « فوكس » غابة فيها كثير من الخشب الذي يطلبهُ فقصدها وكانت في ذلك الزمان ملكاً مشاعاً يحتطب منها الحاطب ويغرس فيها الغارس ويبني البناني ولا من يعارض في قطع الاشجار وحرث الارض و بناء البيوت وما اشبه ذلك . وكان ذلك الزمان ايضاً زمان تزييف النقود وتمشي المزيفين في كل ناحية من نواحي البلاد والحكومة عاجزة عن اقتفاص اثرهم والسُّعي بتواصيهم الخاطئة . واتفق ان هبط تلك الجزيرة رهط من مزيفي النقود يعملون على مهل ولا يخشون بأس احد لصعوبة الوصول اليها . وهكذا دخل بنكرتن الجزيرة متنكرياً وخرج منها متعرفاً قافياً يقفو الاثر ويتبعهُ للاهتداء الى صاحبهِ اذا كان مجرماً

ومن ذلك الحين تنبهت تلك القوة الفطرية الكامنة فيهِ وعلم ان الطبيعة خلقتهُ ليكون قافياً لا سمكرياً وان حرفتهُ ستكون ما ارادتهُ الطبيعة لا ما ارادهُ هو . واقام في الجزيرة ريثما ايقن انهُ وقع على عصابة من المزيفين ثم تسلل منها خلسة الى البرّ وابلغ مأمور البندر المقيم فيهِ ما اكتشف . وانتظم في سلك جاويشيتهِ واشترك في القبض على تلك العصابة . وابدى في هذه المهمة من الجراءة والحذق ما جعل المأمور يعينهُ رسمياً رئيساً من رؤساء البوليس . وما زال يرتقي في المناصب حتى عين رئيساً للبوليس السري في شيكاغو

وكانت الجريمة الرائجة في ذلك العهد جريمة قطع سكك الحديد لقلة سكك الحديد حينئذٍ ومرورها في ادغال وغابات وبلاد قليلة السكان . فعهد الى بنكرتن في منع هذه الجرائم وقطع دابر قطاع الطرق فنجح في هذه المهمة اي نجاح وتمكن هو ورجالهُ من القبض على اللصوص الذين نهبوا شركة معروفة في مدينة مونتغمري بولاية الاباما سنة ١٨٥٩ وعلى اثر ذلك طلب منهُ تأليف وكالة للبوليس السري لمنع جرائم سكك الحديد

وفي سنة ١٨٦٠ علم وكلاؤهُ في بلطيمور وفلادلفيا بوجود مؤامرة لقتل الرئيس لنكن في مدينة بلطيمور وهو مارٌّ بها في طريقهِ الى واشنطن لحلف يمين

الرياسة . فبلغ بكرتن الصدفة لكن في شيكاغو خبر هذه المؤامرة فقرر الرأي على تغيير بروجراه السفر سراً وسفر الرئيس الى واشنطن بطريق اخرى وعهد الى بكرتن في التنفيذ فقام بمهمته هذه خير قيام وبلغ الرئيس عاصمته سالماً وردّ كيد الكائدين في نحورهم . وبعد ذلك بقليل دعا الرئيس بكرتن الى العاصمة وجعله رئيس المكتب الوطني للبوليس السري فبدأت بذلك حياته الجديدة بمشاقها الكثيرة ولاسيما انهُ اصبح رئيس مكتب تدخل البلاد كلها في اختصاصه . وعين في خدمته كل رجل وامرأة فاقوا الاقران في الحذق والذكاء والجراءة ورباطة الجأش . ولطالما وقفوا مواقف لو صدرت منهم فيها اشارة غريبة او قالوا كلمة مثيرة للريب فيهم لأذيقوا الموت الناجز بلا رحمة ولا شفقة . والى القارىء مثالاً يدلُّ على ما كان رجال هذا البوليس السري يبدون من الحذق والدهاء في مواقفهم الرهيبة

كان بكرتن ذات يوم يسيح في الولايات الجنوبية وقد وقف ببلدة ما في يوم تهب فيه احد البنوك وقتل صرافهُ وكانت البلدة قائمة قاعدة لهذا الحادث . فهبَّ حالاً للعمل من غير ان يبوح بهويته واستمدَّ من القرائن على ان مرتكب الجريمة رجل من اعيان المدينة وصديق للصراف ولم يكن احدٌ يشتبه فيه البتة . فانتدب من رجاله من دخل في خدمة هذا الرجل واوصاه بان يرش عن مناديل سيده ومناشفه وملاءاته عطراً كان القتيل يحبهُ وغرضهُ من ذلك اثارة هواجسه وتحييل جهازه العصبي فوق ما يحمل . وكان يمتدُّ الى مخدع نومه النوبة للكلام مع سائر غرف منزله على مثال ما يرى في بعض المنازل الكبرى . وهذه الانبوبة تنتهي عند سريره . فنهض الخادم ذات ليلة ووقف عند طرفها الآخر وهو يثقُّ انات النزع ويصيح صيحات المستغيث فأفاق سيده من نومه مذعوراً وخاف ان يعود فيسمع مثل هذه الاصوات في الليلة التالية فقرَّ نهاراً الى حيث لا يعلم احد وترك وراءه آثاراً تدل على انهُ هو الجاني فأُخذ بجنايته

وهناك حادثان يدلان على الطرق العجيبة التي جرى بكرتن عليها في اكتشاف المجرمين وعلى الطرق التي اتبعها بعض المجرمين في الفرار من سبيل مطارديهم وربما كانت مثل طرق بكرتن دهاء وسعة حيلة ان لم تكن اعجب منها

الحادث الاول — حكاية عائلة رينو

كان في مدينة سيمور بولاية انديانا سنة ١٩٠٠ عجوز محطماً كانت متزوجة فلاحاً غنياً واسمها الاصلي لورا رينو . فتوفيت تلك السنة وكان قد مرّ عليها ثلاثون سنة تعيش في مزرعة نائية لا يميزها شيء عن سائر الفلاحات النواتي كنّ يقصدن سوق مدينة سيمور كل يوم سبت لبيع ما اجتمع عندهنّ من البيض والزبدة . ولكنها كانت قبل ذلك ببضع سنوات اي ما بين سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٩ اشهر من يرجى ويخشى في تلك الجهة . فقد كانت بارعة الجمال مشهورة بالفروسية ولها اربعة اخوة من قطاع الطريق عاثوا مفسدين في ثلاث ولايات وهزأوا بقوة البوليس ولم يرهبوا جانب سلطة ما سنين طويلة

وكانوا قد جمعوا حولهم في مزرعتهم جمعاً من مزيفي النقود البارعين واللصوص الذين اختصوا بتكسير خزائن المال وسلبها وتوقيف القطرات وجبها فحازوا بذلك الوفاً من الجنيهات . وكان خوف الناس منهم يمنعهم من ارشاد الحكومة اليهم او الشهادة عليهم . وعظمت سلطتهم وتفاقم شرّهم حتى اكرهوا الحكومة المحلية على انتخاب موظفين يقبلون الرشوة وبذلك امنوا القبض على احد منهم او محاكمته

واشتد بهم الشوق الى توسيع دائرة سطوهم فجعلوا يغيرون على ولايتي الينوز وسوري المجاورتين لهم وهم راكبون خيلهم وتاركون خلفهم آثاراً تدل عليهم من نفوس ازهقوها وخزائن كسروها وسلبوا ما فيها . وانتهى بهم الامر الى تكسير خزينة الحكومة في بعض بنادر ولاية سوري فوكل الى بنكرتن القبض على اللصوص لمعاقبتهم ولم يكن احد يعلم حينئذٍ ان اللصوص هم فتيان رينو الاربعة وعصابتهم على انهُ لم يكد بنكرتن يوكل بالقبض على اللصوص حتى عرف من هم وعرف ايضاً ان مركزهم في سيمور بولاية انديانا ولكن الصعوبة التي كانت امامهُ هي كيف يقبض على رجل من هذه العصابة وكيف تثبت التهمة عليهم بشهادة اناس يوجسون خوفاً من التلفظ باسمهم ولو همساً

لم يمض الاّ القليل حتى قدم بلدة سيمور رجل غريب وفتح فيها قهوة او بارّاً . ثم ظهر غريب ثانٍ واستخدم في محطة البلدة . ثم ثالث ونزل في احد الفنادق

واحترف المقامرة ولعب الورق . وتعرف هذا الاخير بجون احد الاخوة الاربعة وسألهُ ذات يوم ان يتمشيا الى المحطة للنزهة ومشاهدة القطر الذاهب غرباً . فذهب معهُ غير موجس شراً وبينما كان لاهياً بمراقبة الركاب يصعدون وينزلون وقد اتكأ على احدى نوافذ القطر اذا بستة رجال اشداء قد انقضوا بهِ فجأة وامسكوهُ وشدوا وثاقهُ ومعهم مأمور البندر الذي سرقوا خزنتهُ وبنكرتن . ثم قرئت عليهِ اوراق اتهامهِ وكانت قد اعدت من قبل ووضع في القطر على عجل قبلما ترى الخبر الى اخوتهِ . فحكم عليهِ بالاشغال الشاقة ٢٥ سنة . ولكن الثلاثة الاخوة الاخرين تركوا وشانهم وزادوا عتوهً وعدواناً بعد القبض على اخيهم . وكانت اختهم مثلهم في جفاء القلب وصعوبة المراس وحسن الرماية ونظائر صحبتهم في غاراتهم وبرزت عليهم

وفي يوم من ايام سنة ١٨٦٨ ركبوا وبعض رفاقهم وعدتهم كلهم عشرة ومرّوا في ولايتي انديانا والينوز يسلبون البنوك ويوقفون القطرات ينهبونها ويوقعون الرعب في قلوب الناس حتى صحوا مستغيثين منهم . واتفق مرورهم ذات يوم نهاراً في بندر صغير قرب سكة حديد انديانا وكانت محكمة البندر عاقدة احدى جلساتها والناس مزدحمون في شارع البندر الاكبر . فحاط ثلاثة او اربعة من اللصوص بالمحكمة وتوجه الباقون الى البنك فنزلوا عن خيلهم ودخلوهُ وطلبوا ان يفرّغ مالهُ في كيس كان معهم وكانوا شاهري مسدساتهم في ايديهم . فجابهم البنك الى ما طلبوا فاخذوا المال وركبوا خيلهم ومروا برفاقهم الآخرين فاخذوهم معهم

وقبلما بلغوا اطراف البندر انتشر خبر فعلتهم بين سكانهِ فهبّ بعض شجعانهم في اثر اللصوص يطلقون النار عليهم . فلدى ذلك سخطهم فرتدوا على مطاردهم يصيحون ويطلقون مسدساتهم . ولما اقتربوا من المحطة اذا بقطار قد اقبل ووقف فيها فاحدقوا بهِ ودخل بعضهم غرف الركاب والبريد واسرع الآخرون الى القاطرة (الوابور) فكرهوا السائق على اخذ القطار بعيداً عن المحطة مسافة نصف ميل وهناك سلبوا الركاب ثم فكوا القاطرة من القطار واستاقوها الى مكان بعيد عنهُ وعطلوا آلاتها وبعد ذلك ركبوا افراسهم على مهل وساروا كأن لم يكن شيء

وبعد بضعة اشهر اوقف قطار في بلدة مرشفيلد بولاية انديانا ونهب منهُ عشرون الف جنيه ذهباً . فلم يشكّ احد في ان الجناة هم ابناء رينو وعصابتهم وثبت لاعوان بنكرتن في سيمور انهم هم الذين نهبوا القطار في مرشفيلد وقطاراً آخر في السكة نفسها بعد نهب الاول بقليل . وثبت لهم ايضاً ان ثلاثة من رجال العصابة وهم مور وجيرول وسباركس هم الذين نهبوا القطار الثاني . فسعى بنكرتن حتى تمكن من القبض عليهم في سيمور ووضعهم في قطار لاخذهم الى سجن مدينة برولستون في ولاية انديانا . وفي اثناء الطريق هجمت عصابة من الرجال المقنعين على القطار واختطفت المجرمين الثلاثة من ايدي البوليس وشنقتهم في مزرعة قريبة وعلى شجرة واحدة . وكانت هذه العصابة بعض رجال جمعية سرية تألفت لمناوأة عائلة رينو والتخلص من شرّها واسمها جمعية المراقبة السرية في انديانا . فصعقت عصابة رينو من هذه الضربة القاتلة وادركت ان جيرانها لم يعودوا يطيقون الصبر على فظائعها ومنكراتها المتكررة فقرروا مقابلة القوة بمثلها فتفرق الباقون منها ايدي سبا حرصاً على سلامتهم ولكن بنكرتن ورجاله ما زالوا يطلبونهم حتى قبضوا على وليم رينو في انديانابوليس وزجوهما في سجن نيو ألباني . وجيء باخيهما فرنك من كنتاكي وزجّ معهما . ولم يكن الاّ ايام قليلة حتى هجم بعض رجال الجمعية المذكورة آنفاً على سجن نيو ألباني وشنقوا اللصوص على روافد السجن . فانتهى بذلك تاريخ عائلة رينو وحديث كبائرها

اما الحادث الثاني فحادث سرقة مليون جنيه من بنك انكلترا ورجعانا عليه مفصلاً في الجزء القادم . ولكن لا بدّ من القول الآن ان بوليس اميركا السري ابدى تفوقهُ على سائر بوليس الدنيا في هذه الحرب . فقد كان الالمان يرجون ان وجود الملايين من قومهم في اميركا يمكنهم من الاطلاع على دخائل الحكومة الاميركية واسرار جيشها وبحريتها كما تمكنوا من ذلك في بعض البلاد الاخرى فيحبطون مشروعاتها الحربية . فاذا بهم لم يطلعوا على شيء من ذلك واذا باميركا تعرف من دخائلهم واسرارهم اضعاف ما يعرفون من اسرارها . وما ذلك الاّ بفضل بوليس اميركا السري وعظم دهائه